المعيار

مجلة دورية محكمة تصدر عن المركز الجامعي تيسمسيلت. الجزائر

العدد : 03 / جوان 2011

المركز الجامعي: تيسمسيلت - الجزائر- الهاتف/الفاكس
: 046/47/56/18

منشورات

AL MI'YAR

Revue périodique publiée par le Centre Universitaire de Tissemsilt Algerie

N° 3. Septembre 2011

شارك في العدد

عبد القادر رابحي. سعاد شريف. مسكين دايري. مختارية بلعبدي. علي بوعزيزة. كاملة مولاي. خالد بن شعيب. بوبكر معزيز. عبد الرحمن براهيم فواتيح. براهيم بلقاسم. أحمد لعروسي. توفيق مالكي. أحمد شامي. أحمد محمودي. بوعبد الله رابحي. صغير عبد الصمد.

Centre Universitaire de Tissemsilt Algerie .Tel / fax: 046 47 56 18

ISSN 2170-0931

توجه جميع المراسلات باسم رئيس التحرير

أ. مرسي رشيد

المركز الجامعي: تيسمسيلت. الجزائر.

الهاتف/الفاكس: 18 56 47 046

البريد الألكتروني:

Rachidmersi @yahoo.fr

ISSN 2170-0931

شروط النشر وضوابطه

– المعيار مجلة علمية محكمة تنشر البحوث الأكاديمية والدراسات الفكرية والعلمية والأدبية التي لم يسبق نشرها من قبل.

– دورية تصدر مرتين في السنة عن المركز الجامعي بتيسمسيلت. الجزائر.

– تُقبل البحوث باللغات العربية والفرنسية والانجليزية.

– تخضع البحوث والدراسات المقدمة للمجلة للشروط الأكاديمية المتعارف عليها.

– تخضع البحوث للتحكيم من طرف اللجنة العلمية للمجلة.

– تُقدم البحوث والدراسات مكتوبة في ورقة على مقاس (**24/17**) بهامش **2.5**سنتيم عن يمين الصفحة ويسارها وأسفلها وهامش **2.00**سنتيم عن أعلى الصفحة.

– تتم الكتابة بخط (**Traditional Arabic**) حجم(**16**)، وفي الهامش بالخط نفسه حجم (**14**).

– تتم كتابة البحوث كاملة أو الفقرات والمصطلحات والكلمات باللغة الأجنبية داخل البحوث المكتوبة باللغة العربية بخط (**Times new roman**) حجم (**14**)، وفي الهامش بالخط نفسه حجم (**12**).

– تكون الهوامش والإحالات في آخر الدراسة ولا يستعمل فيها التهميش الأوتوماتيكي.

– يُقدم البحث في قرص مضغوط ونسخة ورقية مطبوعة.

– لا يقل حجم البحث عن**10**صفحات ولا تتجاوز **20** صفحة.

– الأعمال المقدمة لا تُردّ إلى أصحابها سواء نشرت أم لم تنشر.

– المواد المنشورة تعبر عن آراء أصحابها، والمجلة غير مسئولة عن أراك وأحكام الكتاب.

كما أن ترتيب البحوث يخضع لاعتبارات تقنية وفنية.

رئيس المجلة : د. **بن جامعة الطيب**. مدير المركز الجامعي تيسمسيلت

المدير المسؤول عن النشر **د. بلحسين محمد.**
مدير مساعد مكلف بالدراسات.

رئيس الهيئة **أ. دردار بشير.**

رئيس التحرير **أ. مرسي رشيد.**

هيئة التحرير

أ. **دايري مسكين** أ. **تواتي خالد**
أ. **روشو خالد** أ. **لعقاب الجيلالي**
أ. **بلخياطي الحاج لونيس** أ. **يعقوبي قدوية**

الهيئة العلمية

أ.**د محمد عباس**. جامعة تلمسان.
د.**بوسماحة الشيخ**. جامعة ابن خلدون. تيارت.
أ.**د مختار حبار**. جامعة وهران.
أ.**د شريط عابد**،جامعة ابن خلدون . تيارت.
أ.**د عبد الجليل مرتاض**. جامعة تلمسان.
د. **عبد القادر رابحي**. جامعة سعيدة.
أ.**د محمد بلوحي**. جامعة سيدي بلعباس.
د. **علي كبريت**، المركز الجامعي. تيسمسيلت.

التنفيذ التقني
لخضر بوسعيد ونورة عرجان

تصميم الغلاف **بد القادر رابحي**

كـلـمـة افـتـتـا حـيـة

بصدور عددها الثالث تكون مجلة المعيار قد تخطت بإذن الله تعالى مرحلة البحث عن تصور أولي لترسيخ رؤية بحثية في المركز الجامعي بتيسمسيلت، لتدخل في مرحلة أكثر ثقة بنفسها وبإمكانياتها العلمية والمعنوية في تثبيت تجربة العمل على ترسيخ هذه الرؤية من خلال الحفاظ على تقاليد العمل العلمي ونشره في دورية تطمح لتحقيق البقاء والاستمرارية من جهة، وتوسيع دائرة المعرفة على مستوى المركز الجامعي والخروج بها من ثمة إلى معانقة تجارب أعمق في الجامعات الجزائرية الأخرى.

ونحن إذ نشكر مسئولي المركز الجامعي بتسمسيلت على ما وفروه من إمكانات مادية من أجل صدور المجلة في موعدها، فإننا نشكر كذلك كل من ساهم من الأساتذة في توفير المادة العلمية. وستسعى المجلة بإذن الله تعالى أن تتفادى هفواتها الأولية بتنويع مصادر مادتها العلمية والحرص على تقديمها في صورة صارمة يكون هدفها خدمة البحث والباحثين والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل.

د. محمد بلحسين.

المدير مسئول النشر

محتويات العدد

اللغة والأدب العربي

– شعرية ما بعد السبعينيات واستحضار المرجعيات المغيّبة في النص الشعري الجزائري المعاصر/**د. عبد القادر رابحي**.....**ص:09**

– شعرية التناص في رواية فوضى الحواس لأحلام مستغانمي

أ: سعاد شريف.....**ص:27**

– السيميائيات تحوّل مستمر في البحث عن الدلالة

أ. مسكين دايري.....**ص:42**

– مصطلح التناص في النقد الحديث

أ: مختارية بلعابدي.....**ص:54**

– صورة تلمسان في الشّعر من ابن خميس إلى كلود موريس

أ.بوعزيزة علي.....**ص:72**

– التركيب المنهجي لدى محمد مفتاح (تناهج أم تلفيق)؟

أ.كاملة مولاي.....**ص:90**

– التحليل النفسي وجمالية التلقي

أ. خالد بن شعيب.....**ص:112**

– العقل المستعار في "منهج طه حسين"

أ. بوبكر معزيز.....**ص:133**

-استنباط الأحكام الفقهية والبيانية من خلال أسلوب الالتفات

أ: عبد الرحيم إبراهيم فواتيح .....ص: 149

- تقارض حروف المعاني بين النحو والبلاغة

د. ابراهيم بلقاسم..... ص:162

العلوم القانونية والإدارية

-المسؤولية المدنية لدولة الاحتلال عن انتهاكات حقوق الإنسان

أحمد.لعروسي.....ص:176

-الإبلاغ كآلية لمكافحة جرائم الفساد

أ. توفيق مالكي.....ص:195

-أثر العولمة على التحول الديمقراطي في الجزائر خلال دستور 1996

أ. أحمد شامي.....ص: 217

العلوم الاقتصادية ولتجارية

- فعالية تسعير الخدمات في تحقيق رضا العميل في سوق خدمة الهاتف النقال دراسة حالة مؤسسة أوراسكوم تيليكوم الجزائر Gsm Djezzy

أ. أحمد محمودي.....ص:247

- دراسة علاقة التكوين المهني بالمحيط الاقتصادي في ظل إصلاحات المنظومة التكوينية

أ. بوعبد الله رابحي.....**ص:262**
- واقع مؤشرات اقتصاد المعرفة في الجزائر
أ. صغير عبد الصمد.....**ص:285**

شعرية ما بعد السبعينيات واستحضار المرجعيات المغيّبة في النص الشعري الجزائري المعاصر

د. عبد القادر رابحي
كلية الآداب واللغات. جامعة سعيدة

ملخص:

بلورت المرحلة السبعينية من القرن الماضي العديد من الإحداثيات الفكرية والسياسية والإيديولوجية التي ستكون محل اهتمام جل المثقفين الجزائريين في فترة الثمانينيات تحديدا، نظرا لما وفرته هذه الفترة من انفتاح سياسي وثقافي أدى إلى إعادة استحضار الأطروحات المغيبة عن الساحة الثقافية منذ فترة الاستقلال زمنيا، وعن المواثيق السياسية والتنظيمية للدولة الوطنية على المستوى الإيديولوجي. وتحاول هذه الورقة أن تترصد بعض هذه الإحداثيات المغيبة عن الخطاب الثقافي الجزائري طيلة المرحلة السبعينية، ومدى تأثيرها في صياغة وعي حَداثي مختلف لدى الشعراء الجزائريين الذين عايشوا هذه الفترة. وهو الوعي الذي مكنهم من صياغة نص شعري مختلف عما كان يطبع المدونة الشعرية الجزائرية من نمطية فكرية وجمالية مرتبطة بالطرح الإيديولوجي السائد في تلك الفترة.

1-الوعي بالحداثة واستحضار الطرح المغيّب:

يلاحظ الدارس للمدونة الشعرية الجزائرية في فترة ما بعد السبعينيات أن معْلمَين أساسيين اثنين حدّدا مرحلة الثمانينيات في تاريخيتها، وأسسا- بناء على ذلك - لحركية الانفصال الإيديولوجي والثقافي عن المرحلة السبعينية بكل ما تحمل الكلمة من معنى. وهذان المعلمان هما:

أ- بداية أفول نجم المرحلة السبعينية برؤيتها الإيديولوجية اليسارية، بوفاة الرئيس الراحل **هواري بومدين** في نهاية السبعينيات(*).

ب- تجلّي الصراع الإيديولوجي في أقصى مظاهره المصحوبة بالعنف من خلال ما سمّي بأحداث أكتوبر 1988، وتحول إشكالات الصراع الإيديولوجي والسياسي إلى مواجهات بين النظام السياسي المأزوم والشارع لأول مرّة في تاريخ الجزائر المستقلّة (**).

ويبدو المعلم الأول واضحا في الإشارة إلى انتهاء المرحلة البومدينية بوفاة الرئيس الراحل **هواري بومدين** في نهاية السبعينيات، ومن ثمة انتهاء المشروع الذي كان يحمله، عن التصورات الذاتية والموضوعية الخاصة بمستقبل الجزائر الثقافي -على الأقل من الناحية النظرية-. وذلك على الرغم من استغلال التيارات الإيديولوجية والفكرية المنضوية تحت الجهاز التنظيمي للعام للحزب الواحد، لأفكار هذا المشروع من أجل الحفاظ على مواقعها وتوسيع دائرة تأثيرات رؤيتها السياسية في مستقبل الممارسة الإيديولوجية ومن ثمة التأثير على الخطاب الثقافي وتجلياته الإبداعية.

ونخص هنا بالذكر التيار اليساري الذي بدا في المرحلة السبعينية أكثر تطرفا وإلحاحا في طرح رؤيته من الأفكار التي كان يحملها المشروع البومدييني نفسه حول العدالة الاجتماعية والمساواة والحرية وتكافؤ الفرص بوصفها واجهة إيثارية تبريرية تغطي الرؤية الإيديولوجية ومصلحيتها. وهي قيم طالما نادت بها المرحلة البومدينية وحاولت أن تطبقها على مستوى الواقع المعاش، ولكن بتفاوت كبير بين ما كانت ترجوه رؤيتها وما كان يريده التيار اليساري الضاغط.

وقد تجلّى ذلك من خلال استغلال هذه القيم من أجل تمرير أنموذج تسييري للأنماط الاجتماعية والثقافية لا يمت بصلة إلى بنية المجتمع الجزائري، ولا يراعي جذور مكوّناته الاجتماعية والثقافية. كما أدى إلى نمذجة الخطاب الثقافي في الانجازات المحقّقة

على مستوى التحولات التي شهدها المجتمع في بنيته الفلاحية الرعوية خاصة، وإعادة هيكلة بنية المجتمع الثقافية من خلال كسر النسيج الاجتماعي البسيط الذي كان يحافظ على جذوره الثقافية على الرغم من توارثه لمعطياته السلبية من فترة الاستعمار الفرنسي.

ففي حين كانت الطبقة المسيّسة والمثقفة الواعية بعمق هذه التحولات وخطورتها، تحاول أن تحافظ على مصالحها الاجتماعية ومكاسبها الثقافية من خلال التكوين الجيد باللغة الفرنسية والتخصصات المربحة لأبنائها،- وهي طبقة قليلة أتاح لها تكوين فترة ما قبل الاستقلال وعيَها بضرورة التموقع واستباق حركة التغيير القادمة -، كانت الطبقات الفقيرة من عامة أبناء الشعب وغالبيته تخضع لحركة تجريب إيديولوجية طالت بنياتها الثقافية ومرجعياتها الدينية، وحتى مساحتها الجغرافية، من خلال الدخول الإجباري كـ"عيّنات تجربة" في المخبر الإيديولوجي للفترة السبعينية الذي أخضعها للتحول الاجتماعي من خلال تفكيك نسيجه الريفي الطبيعي، وتحويله إلى "قُرى اشتراكية" و"غلوكوزات" تُسيّرُ بتقنيات مستوردة، وتحويل عمّال المدن، على الرغم من ضعف تكوينهم الثقافي وضعف فرص تعلميهم نظرا للفترة الاستعمارية، إلى طبقة عُمّالية خاضعة للرؤية التحديثية التي كانت تتبناها السلطة من خلال ما كانت تصوّره على أنه إنجازات ضخمة كالمصانع والمعامل والوحدات الإنتاجية.

وقد كانت هذه المحاولة تبدو في جوهرها، بالنسبة للرأي المخالف، فعلا سياسيا وإيديولوجيا مُتعمَدًا يعمد إلى كسر الحراك الثوري الذي توارثه المجتمع الجزائري منذ الفترة الاستعمارية، وتحويل فاعليته عن المجرى الحقيقي الذي طبع بنية المجتمع الجزائري وهو يحاول أن يقف في وجه الاستنبات القسري للهويّات المستوردة منذ العهد التركي.

وقد ولدت تجربة الكسر[1] الثقافي والحضاري التي أنتجتها الطريقة المصلحية الانتقائية في تسيير هوية الأمة و"وضع اليد الإيديولوجية" على كتابة تاريخها بمختلف

توجهاته وتعدد أبعاده، إلى تعميق المفارقات التاريخية على مستوى الخطاب الثقافي في مخيلة مثقفي ما بعد السبعينيات وشعرائها. كما أدى هذا الكسر إلى كسر آخر أكثر خطورة في تصور رؤية منسجمة مع نفسها للمشروع الثقافي الذي يجب أن يكون عليه مستقبل الجزائر. " والحق فإنّ عجز السلطة عن إيجاد حلول مناسبة ليس فقط لمشكل الهوية كجزء من المشكلة الثقافية، بل عجزها عن إيجاد حلول لعديد من المشكلات السياسية والاقتصادية كان السبب الأساسي في ظهور العنف المادي والرمزي بشكل مباغت، وبطريقة تجاوزت كل معقولية ممكنة"(2).

ومن هنا فإن مشكلة الهوية بوصفها جزءً لا يتجزأ من المشكلة الثقافية ظهرت بصورة جليّة من خلال مسألة الرفض المبدئي لهذا المشروع من طرف المثقفين الجزائريين المختلفين في الرؤية. وهو رفض ينم عن عمق الاختلاف الذي كان سائدا في البنية الثقافية للمجتمع الجزائري في فترة ما بعد الاستقلال والتي يسميها **عبد القادر جغلول** بـ "عصر الارتباك"(3).

وقد تجلت مسألة رفض المشروع السبعيني على مستويات ثلاثة نعتبرها أساسية في تشكيل الوعي الآخر بتحديث الأسس الفكرية والثقافية وفق نظرة أكثر انسجاما مع المنابع الحضارية للمجتمع الجزائري حتى وإن بدت مختلفة في تعبيرها عن الأفكار والآليات الكفيلة بتطبيقها.

وإذا كانت مستويات الوعي البديل هذه، تعبر عن شريحة واسعة من السياسيين والمثقفين ممن لم يجدوا مساحة للتعبير عن أفكارهم في الفترة السبعينية، فإننا سنكتفي بنماذج تمثيلية لهذا الطرح تعبر عن معاناة المثقف في صياغة المشروع الحداثي البديل وفي تمرير الأفكار الأساسية لمشروعها داخل المنظومة الفكرية والثقافية لفترة السبعينيات.

وهذه المستويات هي:

– مستوى الطرح الفكري الفلسفي كما هو الحال في كتابات ومواقف **مالك بن نبي**[4].

– مستوى الطرح الديني والحضاري كما هو الحال في كتابات ومواقف **البشير الإبراهيمي**[5].

– مستوى الطرح الثقافي والإبداعي كما هو الحال في أشعار ومواقف **مفدي زكريا**[6].

وتدلّ هذه النماذج على تصورات الطرح المغيّب عن عمق المساءلة الفكرية والثقافية، حتى وإن كانت أفكار أصحابها ليست بالغريبة تماما عن واقع هذه المساءلة. كما أنها لا تزال تدلّ إلى اليوم على الجرح الثقافي والحضاري الذي عمّقته الرؤية الانتهازية لفترة ما بعد الاستقلال ولما يُبْحْ بعدُ بكلِّ أسراره. وإلا كيف يمكننا تفسير حضورها في جوهر المساءلة الإبداعية لشعراء ما بعد الثمانينيات من خلال محاولاتهم طرحها مرجعيةً جديدة وطرح إحداثياتها المغيبة بديلا للمرجعية الفكرية المسيطرة على النص الشعري السبعيني بكل ما تحمله من ثقل إيديولوجي، والتي كان شعراؤها المعربون والمفرنسون[7] يتباهون باستعمالها من أجل تحقيق الحلم "بعالم المساواة، عالم السلم، عالم الجمال والحرية، عالم تسوده العدالة، وتصبح فيه الاشتراكية حقيقة ملموسة وليس شعارا"[8].

ولئن كان شعراء ما بعد السبعينيات نتاجا حتميا لجوانب التحديث الإيجابية في فترة السبعينيات نظرا لما أتاحت لهم هذه الفترة من تعليم مجاني وتكافؤ فرصٍ من حيث الوصول إلى مراحل متقدمة من التكوين الجامعي – وهذا من الإفرازات الإيجابية لهذه المرحلة التي لا يجب إنكارها أو المرور عليها مرور الكرام–، فإنه من الواجب الإقرار بأنهم كانوا نتاجا لجوانبها السلبية كذلك، من خلال ما عرفته من إفرازات على مستوى ما ذكرناه سالفا من صراعات سياسية وثقافية اعتمدت على تغييب الرأي الآخر ومن وعيهم لتناقضات المرحلة التي تربّوا فيها والرؤية التي استقوا منها تكوينهم الثقافي والفكري.

إن الحق في اكتشاف هؤلاء الشعراء للتناقضات التي أفرزتها هذه المرحلة بصراعاتها الفكرية والثقافية، لم يكن أمرا ضروريا فحسب، وإنما كان أمرا حتميا فرضته طبيعة هذه التناقضات في تجلياتها الثقافية، وانعكاس هذه التجليات على الرؤية التي كان يجب أن يحملوها عن ماضي الجزائر الثقافي القريب منهم، وعن معالم مستقبله. ذلك أننا سنجد معالم المساءلة الجوهرية لهذه التناقضات واضحة في نصوصهم الشعرية، لا على مستوى المضامين التي كان لابد أن تنظر إلى إنجازات المرحلة السبعينية برؤية مختلفة وتحاول تجميع (شظايا الانتماء)[9] والـ (تأمل في وجه الثورة)[10] برؤية تحاول أن تقتنع "بجرح الطريق"[11]وتعمد إلى مكاشفة "قلب الحرائق بالورد والأقحوان"[12]، وإنما على مستوى الأشكال الكتابية وتجليات أنساقها الدلالية في البنيات النصية من خلال إعادة صياغة النص الشعري صياغة تعتمد على الترميز من أجل تمرير الموقف والـ"إعلان عن هوية"[13] الذات الشاعرة في زمن الانقلاب على القيم الفكرية والجمالية حيث:

صار نوفمبر الحب والاغتراب

وصار الكلاب أسودا..

وأضحى الأسود كلاب..[14] .

وكان لابد لهؤلاء الشعراء أن يضعوا في عين الاعتبار مجمل هذه الإشكالات من أجل التأكيد على مساحة الاختلاف وتحقيق هامش الخصوصية الذي يعبر عن التغيرات التي عايشوها.

2-جدلية الفكرة وحتمية التحديث الشعري:

أما المعلم الثاني الذي يحدد فترة الثمانينيات بوصفها مرحلة انتقالية في البنيات الثقافية والإيديولوجية للمجتمع، فهو المعلم الأساسي الحاضر في تاريخ الجزائر المعاصر، والتي عادة ما وصفت بـ (أحداث أكتوبر1988) ووصل فيها المجتمع الجزائري إلى مرحلة

متقدمة من التأزم في الصراع بين المواقف السياسية وانعكاسها على المشاريع الثقافية، وتجلي أيقوناتها المغيبة بصورة واضحة إن على مستوى الكتابات السياسية والفكرية، أو على مستوى الحراك الثقافي الذي كانت تشهده الجامعة الجزائرية بوصفها حاضنة مكوّنة لهؤلاء الشعراء خصوصا، وتنامي صراعاتِ توجهاتِ طلبتِها بين المتخندقين في صفوف الخلايا اليسارية العاملة تحت غطاء التنظيمات الطلابية الرسمية التي كانت تستمد شرعية نشاطها من جناح السلطة الداعم لها، وبين المتخندقين في التنظيمات الإسلامية المتموقعة في المساجد والأحياء الجامعية، والباحثة عن شرعية من خلال سياسة الأمر الواقع.

لقد كان للصراع الإيديولوجي والثقافي الذي شهدته مرحلة الثمانينيات، خاصة بالنسبة للشعراء الذين صادف تعليمهم في هذه المرحلة بالذات، أثرٌ بارزٌ في تحول النظر إلى مساحة الصراع الثقافي إلى وجهة تحاول أن تدرك مساءلاتها الجوهرية وتبني لها موقفا منها.

ولعلّ النقاشات السياسية والفكرية المبطّنة بغطاء اللبوس الثقافي والنشاط العلمي قد لعبت دورا أساسيا في تأجيج مساحة الصراع وبلورة المفاهيم والمواقف التي كان يجب على الأطراف تبريرها بمبررات تريد أن تعيد إشكاليات الهوية الوطنية والتعريب والانتماء الحضاري والموقف من المذاهب الإيديولوجية المستوردة، وثنائيات التقليد والتجديد والقِدم والحداثة والأصالة والمعاصرة.

وقد وجدت الأطراف المتصارعة في هذه النقاشات فرصة سانحة لتدلي بوجهة نظرها فيما يخص أساليب التحديث الإبداعي والفكري بناء على مواقفها من هذه الثنائيات. ولطالما كان شعراء هذه المرحلة ومبدعوها يحاولون ربط طرائق الإبداع وتجلياتها الشكلية والدلالية بمواقف أصحابها، فيكون التجديد في الشكل الشعري بالنسبة

لأحدهم موقفا من أحد أطراف هذه الثنائيات التي سيطرت على الخطاب الثقافي في الثمانينيات، والعكس صحيح.

ولو تمعنّا في أساسات التغيرات الثقافية في هذه المرحلة بعين فاحصة ومقاربة هادئة، لوجدنا أنها من أهم مراحل التاريخ الثقافي للدولة الجزائرية المستقلة نظرا لما سبقها من جو مُغلقٍ على مستوى الممارسة الثقافية قبل سنة 1978، ولما لحقها من جو مفتوح على كل الاحتمالات قبيل أكتوبر 1988 وبعده.

ومثلما كان ضياع فلسطين في 1948 وهزيمة حزيران 1967 مَعْلَمَيْنِ أساسيين في المشرق العربي أثناء مرحلة الانتقال الإبداعي وتشكيل المنابع الضرورية للخوض في إشكاليات التجريب الإبداعي عموما والشعري على الخصوص[15]، نظرا لما لهما من دلالات في التأثير على الوعي الجمعي للطبقة المثقفة من خلال إعادة طرح المساءلات المتعلقة بالوجود والمصير، فإن المِعْلَمين التاريخيين السابقين بالنسبة للجزائر قد لعبا دورا أساسيا في تشكيل رؤية جديدة استطاع من خلالها المبدعون عموما والشعراء على الخصوص، بمختلف مستويات تكوينهم ووعيهم بعمق هذه التحولات، أن يعبروا عن الحاجة الملحة إلى التغيير على مستوى الخطاب الإبداعي عموما والشعري على الخصوص.

وحتى وإن كان وجه الشبه بالنسبة للحالة المشرقية لا ينطلي على الحالة الجزائرية من حيث الأبعاد السياسية والتاريخية، فإنه لابد من الإقرار بأن الآثار التي خلفها المعلم المشرقي في البنية الثقافية للمجتمع العربي- والجزائر من ضمنها- قد كان له تأثير بارز على محاولتهم إعادة صياغة الرؤية التي كان يحملها هؤلاء الشعراء عن الكتابة الإبداعية وإشكاليات التجريب الشعري التي تغير بموجبها الخطاب الشعري من خلال التأسيس

لذاتٍ شعريةٍ ومعرفيةٍ تتحسس الإشارات الجمالية والدلالية لطبيعة المرحلة التاريخية، وتعيد صياغتها وفق الرؤية الآنية لحداثة الممارسة الشعرية.

نقول ذلك، لأنه لا يمكن أن نتصور فهما عميقا للنص الشعري لشعراء ما بعد السبعينيات من دون التوقف عند الجذور الاجتماعية والتكوينية لهؤلاء الشعراء ومعرفة مدى تأثيرها على تغيّر بنية النص الشعري، نظرا لما أتاحته من مبررات فكرية ومعرفية، ومسوغات نفسية، تنبئ عن مدى إدراكهم الرؤية المعرفية التي تحدد علاقتهم بعوالم الشعرية المعاصرة، وتمكنهم من الانتقال بإشكاليات التجريب إلى آفاق جديدة. ذلك" أنّ الذات في فضاء الشعر – وتحديدا الحديث – إنّما هو حضور ذات إدراكيّة. إنّ مسألة الذاتيّة تظلّ شرط إمكان المشاركة في كونيّة الأدب، باعتبارها مشاركة تقتضي إسهاما معرفيّا"(16).

ويبدو من خلال التمعن في دواوين شعراء ما بعد السبعينيات الصادرة في هذه الفترة، أن الرغبة في بلورة هذه الذات من حيث طرحها لأنموذج الكتابة الشعرية المختلف عن سابقه فيما تغاير معه به، والراغب في تجاوز ما تَشَاكَلَ معه فيه، ليس وليد صدفة حداثية أتاح لها حِراكُها المرحلي التمظهُر باللبوس الذي ظهرت به فحسب، وإنما هو نتيجة البنية المكوِّنة للجذور الاجتماعية والثقافية لهؤلاء الشعراء وما لحقها من تغيّرات جذرية على مستوى الأنساق المعرفية المؤسِّسَة لهذه الذات.

لقد أدى فشل المشاريع التنموية في هذه المرحلة إلى الإصرار العنيف على الجانب الثقافي الذي أُقْصِيَ ممّا سُمي بالثورات الثلاث (الزراعية والصناعية والثقافية) التي بنت عليها الرؤية النظرية للمرحلة السبعينية تطبيقاتها على مستوى الواقع الاجتماعي. ذلك "أن العنف ارتبط بالثقافة الجزائرية، وأنه قد تم امتداحه في الخطاب الوطني وخاصة بعد

نجاح حرب التحرير الوطنية، وإن السلطة الوطنية قد تأسست على العنف وعملت على التغيير العنيف من خلال شعار ثوراتها الثلاث الزراعية والصناعية والثقافية"[17].

وإذا كانت الثورة الزراعية والثورة الصناعية اللتان استحوذتا على اهتمام المشروع البومدييني قد وجدتا لهما طريق التطبيق فيما ذكرناه سابقا، وفشلهما في إفراز نوع من التوازن الاجتماعي، فإن ترك الثورة الثقافية جانبا بطريقة مُتعمَّدة وأكيدة، أدى إلى تجلي الرؤية العنيفة للصراع بين منظومتين معرفيتين يتجاذبان الحراك الاجتماعي ويَسُوقانه إلى معالم ثقافية تحمل في عمق أطروحاتها الفكرية والإبداعية العناصرَ الاستشرافية الأولى الدالّة على عنف التصور في طرح معالم الهوية الوطنية وعنف الممارسة الثقافية في الحجاج على صدق هذه التصورات أو على زيفها.

ويبدو جليًّا مع بداية تقادم هذه المرحلة التاريخية، بأن ترك الثورة الثقافية جانبا، إنما كان ينمُّ عن شمولية الرؤية الفكرية والإيديولوجية للمرحلة السبعينية، وهشاشة تصورها للبناء الثقافي لجزائر ما بعد الاستقلال، مما حدا بها إلى تحويل (*Transfert*) إشكاليات عناصره العالقة منذ فترة ما قبل الاستقلال إلى مثقفي ما بعد السبعينيات، لا بوصفها إرثاً لم تقدر على تحمّل مسؤولياتِ طرحِهِ بصورةٍ جليّةٍ فحسب، وإنما بوصفها عقدة معرفية وإشكالا إيديولوجيا قابلا لمعاودة الظهور بطرق أكثر إلحاحا في أية لحظة. ولعل هذا ما أدى بشعراء هذا الجيل إلى البحث عن عناصر الهوية الشعرية من خلال البحث عن عناصر الهوية الوطنية والانتماء الحضاري.

وكأن الإشكال الحقيقي الذي سيواجهه هذا الجيل إنما هو مشكلة الهوية لا بوصفها إرثا سياسيا وحضاريا يجب التخلص من تبعاته السلبية فقط، ولكن بوصفها عقدة وجودية تنطلي إشكالاتها الفلسفية على المسار الوجودي لهؤلاء الشعراء وهم يحاولون البحث عن مكان يسع تساؤلاتهم الموروثة. "ذلك أننا عندما نأتي إلى هذا

العالم، فإننا لا ننخلع في واقع الأمر عن جذورنا، بل نحمل في أنفسنا الانفصال عن الجذور. وهذا الوجه الذي نحاول طيلة حياتنا أن نلصقه بجلدنا، حتى ولو أدى الأمر إلى فقدان هويتنا الأولى"[18].

لقد بدت هذه المرحلة التي عايشها شعراء ما بعد السبعينيات وكأنها مرحلة التخلص من الإرث السبعيني، من خلال إعادة هيكلة البنيات الاجتماعية والاقتصادية غير القادرة على التأقلم مع معطيات العصر. وقد أدى ذلك إلى تعطل الآلة الصناعية وشحّ الإنتاج الزراعي في المنظومات الفلاحية التي طالما تغنى بإنجازاتها شعراء السبعينيات[19]، وما تبعهما من تسريح سيزداد مع الوقت لآلاف العمال ذوي الأصول الريفية الذين وجدوا أنفسهم في مواجهة واقع اجتماعي متغير لا يتكفل بمتطلباتهم الضرورية في عيش كريم كانوا يطمحون من خلاله إلى تحقيق أحلامهم المسكونة بالوهم السبعيني.

والحق أننا لو بحثنا عن الجذور الاجتماعية لشعراء ما بعد السبعينيات لوجدنا أن معظمهم ينتمون كنظرائهم السبعينيين إلى الطبقات الفقيرة من العمال أو الفلاحين التي حملت في صيرورتها التاريخية ظلم الاستعمار الفرنسي الغاشم، ودفعت ضريبة التحرير بطريقة مباشرة أو غير مباشرة أثناء الثورة التحريرية، وعايشت حلم الاستقلال والمساواة والعدالة الاجتماعية، وتحمّلت انعكاسات هذا الحلم على أرض الواقع. وقد تحمل شعراء هذا الجيل تبعات هذه الصيرورة وهي تفضي إلى تبلور الصراع بطريقة حادة ومريرة. ويبدو ذلك جليا في الموضوعات التي كانت تستحوذ على قصائدهم وطرائق طرحها بصورة مختلفة عن نظرائهم السبعينيين[20].

لقد كانت العودة إلى موضوع الثورة الجزائرية باعتبارها بؤرة مركزية للتدليل على الانتساب الحضاري والتاريخي لشعراء ما بعد السبعينيات، ومحاولتهم تلقف أيقوناتها

الرمزية تأخذُ مجرى مخالفا في البنية الدلالية والفكرية لنصوصهم من خلال تجاوز الطرح المناسباتي المباشر الذي كان يطبع النصوص السبعينية. كما تغيرت مصادر الاستقاء من المنابع الثقافية التي كانت تُميّز الجيل السبعيني، فأصبحت الرموز الثقافية والفكرية المغيّبة في النصوص السبعينية أكثر حضورا في النصوص الجديدة من خلال استنطاق الحادثة التاريخية وإعادة قراءتها قراءة مختلفة. نستشف ذلك من خلال مناداة هؤلاء الشعراء لهذه الرموز وكأنها مناداة استنجادية للبعد المغيّبِ في النص الشعري من أجل تعديل اختلالاته البلاغية وتحقيق مساحة التوازن في بنياته الدلالية.

كما أعاد هؤلاء الشعراء طرح مشكلة الهوية الألسنية من خلال العودة إلى الإشكال اللغوي وما كان يدل عليه من فوراق اجتماعية وثقافية بينهم – بوصفهم شعراء معربين– وبين من كانوا ينتسبون إلى اللغة الفرنسية. وذلك من خلال التركيز على ما حققه الانتماء إلى هذه اللغة للأدباء والشعراء الناطقين بها من مستوى اجتماعي وثقافيٍّ مكّنهم من فرص التماهي مع المرحلة أكثر من نظرائهم المعربين. وربما تخوّف هؤلاء الشعراء كغيرهم من المثقفين المعربين من خلال التعبير عن مواقفهم في خضم الجدل الثقافي في مرحلة الثمانينيات، من أنْ " تضيعَ العربيةُ في الفرنسية، فيقع المسخ للناشئة فينشأون على غير شيء، ما دام كل ما يتعلمونه هو غير شيء. [وقد] أصبح الفرنكوفيليون يتحكمون في مصير الأغلبية، ويرفضون تطلعاتها، ويدوسون على القيم التي تؤمن بها"(**21**).

وسنرى أن شعراء ما بعد السبعينيات سيؤكدون على مشكلة الهوية الوطنية والانتماء الحضاري والغربة داخل اللغة الأم وتصوير الفوارق الاجتماعية ونقد البنية السياسية السائدة في أطروحاتهم الثقافية ونصوصهم الشعرية. وذلك من خلال اتخاذ الإشكالات الأساسية التي أفرزها المجتمع في مرحلة الثمانينيات تيماتٍ ذات دافع يحمل

في حركيته أساليب التعبير عن حدة الطرح الشعري المؤدِّي بدوره إلى تجاوز الأنماط السائدة على مستوى النصوص وتحرير فضاءاتها الدلالية والفكرية من الرؤية المهيمنة عليها. وقد أصبحت المساءلات الجوهرية التي كانت تحملها هذه المرحلة التاريخية في مستوياتها السياسية والإيديولوجية ظاهرةً للعيان بصورة واضحة في هذه النصوص.

والأكيد أن هذه التيمات قد دلّت الشعراء على مسافة الفارق الذي يجب تحقيقه من أجل الانفصال عن شعرية السبعينيات. وقد ساعد على ذلك تبلور مفاهيم الصراع الثقافي بين تيارين أساسيين متناقضين يتجاذبان مساحة النقاش الفكري والإيديولوجي:

أ- تيار عروبي إسلامي يريد أن يؤكد على ضرورة الانتماء الحضاري من خلال الرجوع إلى الأصول المغيّبَة في فترة السبعينيات بوصفها مرجعيات متأصلة.

ب- وتيار لائكي يساري يريد أن يحافظ على المكاسب المحققة في المرحلة السبعينية ودعمها خوفا من ضياعها نظرا لاهتزاز البنية الإيديولوجية لهذه المرحلة في أذهان الجيل الجديد من المثقفين.

وتجلى ذلك من خلال التموقع الإيديولوجي للتيارين اللذين ظهرا وكأنهما يستعدان لمعركة حاسمة لم يكن أحد يعلم ما تخبئه مآلاتها السياسية وانعكاسها على مستوى الواقع الاجتماعي. وقد كانت الجامعة الجزائرية ميدانا حقيقيا لتجليات الصراع الفكري بين هذين التيارين على مستوى النقاش الفكري الحاد، وبداية ظهوره في وجهه العنيف. كما كانت (ملتقيات الفكر الإسلامي) مخبرا حقيقيا لبلورة المشروع الإسلامي الزاحف في صورته المشرقية في أذهان المنتمين إليه، والذي كان يستقي دعائمه الإيديولوجية من الحراك السياسي والفكري العربي العام الذي كانت الجزائر جزءا منه.

ولعل هذا المعلم الثاني الفاصل لمرحلة الثمانينيات ستتحدد نهايته في (أحداث أكتوبر 1988) على مستوى الجزائر في الوعي الثقافي العام للجيلين المتصارعين

من خلال التيقن من انتهاء مرحلة تاريخية بكل ما حملته من رؤى سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية من جهة، ونهاية مبررات بقائها على مستوى الخطاب الأدبي وتجليات هذه الانعكاسات على بنياته الشكلية والدلالية والفنية من جهة ثانية. ولعل الذي سيؤكد نهاية هذه الرؤية هو تجلي نهايتها على المستوى العالمي، وذلك بانهيار النظام الاشتراكي، وتلاشي الأنظمة الشيوعية على المستوى السياسي من خلال معلم تاريخي فاصل هو سقوط جدار برلين سنة1989.

خاتمة:

لقد كانت التغيرات السياسية والاجتماعية والثقافية التي شهدتها مرحلة الثمانينيات ذات وقع كبير على دعاة الرؤية الاشتراكية السائدة في المجتمع الجزائري من جهة، وعلى دعاة الخروج من هذه الرؤية والدخول في مرحلة تاريخية جديدة من جهة أخرى.

وقد كان شعراء ما بعد الثمانينيات في غالبيتهم ينتمون إلى هذه المرحلة التاريخية، إن من حيث المنشأ الاجتماعي أومن حيث المنهل الثقافي. وهم بصورة أو بأخرى نتاجٌ لمرحلة تاريخية مرتبطة بما سبقها من بنيات سياسية واجتماعية نشئوا في خضم تأسيسها والدعوة إليها. كما أنهم جزءٌ من إفرازاتها الثقافية والإبداعية التي شكّلت وعيهم الفكري والثقافي وغيرت المجرى الإبداعي العام في نصوصهم الشعرية.

إن المتمعن في جلّ الكتابات الشعرية لشعراء هذه المرحلة سيلاحظ بالضرورة تغيّر إشكاليات الطرح الفكري والجمالي على المستوى الإبداعي وظهور البوادر الأولى للتغيّر الذي طال البنية الاجتماعية والثقافية في نصوصهم الشعرية. وذلك من خلال تلقف هؤلاء الشعراء لمتغيرات المرحلة التاريخية واستشراف مآلاتها المستقبلية في نصوصهم.

هوامش وإحالات وتعليقات:

(*)- توفي الرئيس الراحل هواري بومدين في نهاية 1978، وفتحت وفاته الباب مشرعا لبروز صراعات النخب داخل منظومة الحزب الواحد من أجل الوصول إلى السلطة. وقد لا يبدو هذا المعلم على علاقة مباشرة بالخطاب الإبداعي عامة والشعري بالخصوص، ولكنه في غاية الأهمية من حيث الإفرازات الثقافية والأدبية التي أنتجتها هذه الصراعات بعد هذا التاريخ والتي أدت إلى وجوب تغيير البنيات الفكرية والثقافية الموجودة ومحاوله استبدالها برؤية أكثر رحابة في الطرح الفكري والثقافي، أدت فيما بعد إلى يزور الحراك الثمانيني الذي انتهى بدوره إلى بروز الصراع علانية، وتجلي تبعاته على البنيات الموضوعية للخطاب الأدبي عموما والشعري على الخصوص.

(**)- تعتبر أحداث أكتوبر إنْ من حيث توقيتها، أومن حيث انعكاساته على الأجيال التي عايشتها وحتى الأجيال التي أعقبتها في التسعينيات، من أهم الأحداث التي عاشتها الدولة الجزائرية المستقلة منذ 1962. وقد بدت وكأنها نتيجة حتمية للحراك الإيديولوجي والثقافي في فترة الثمانينيات وذلك نظرا لما يحيط بها من عوالم لم تتضح معالمها وأهدافها إلى الآن. ومن هنا فإننا لا نستغرب تجليات هذا الحراك في النص الشعري في فترة الثمانينيات على مستوى الأغراض والمواضيع خاصة.

(1)- ينظر: رابحي، عبد القادر. إيديولوجية الرواية والكسر التاريخي، مقاربة سجالية للروائي متقنعا ببطله. ض: الأدبي والإيديولوجي في رواية التسعينيات. أعمال الملتقى الخامس للنقد الأدبي في الجزائر .م.م.. منشورات معهد الآداب واللغات. المركز الجامعي بسعيدة. 2008. ص:46.

(2)- بغورة، الزواوي. الهوية والعنف في الخطاب الثقافي الجزائري. مج: العربي. وزارة الإعلام. الكويت. ع: 599.تا: اكتوبر 2008.ص:29.

(3)- جغلول، عبد القادر. تاريخ الجزائر الحديث. دراسة سوسيولوجية.ط:3. دار الحداثة. بيروت/د. م. ج. الجزائر.1983. ص:144.

(4)- طالما عبر مالك بن نبي من خلال كتاباته عن خطورة استيراد الأنموذج الثقافي الغربي ودعوته إلى رؤية حداثية شاملة من خلال التركيز على مبدأ الانتماء الحضاري للأمة الجزائرية. وإذا كانت كتاباته قد وجدت لها صدى واسعا في المشرق العربي، فإن صداها

لم ينتشر بشكل واسع في أوساط المثقفين الجزائريين إلا في مرحلة الثمانينيات. ينظر على سبيل المثال لا الحصر: بن نبي، مالك. تأملات. دار الفكر المعاصر. بيروت/دار الفكر. دمشق.2002. ص:28.

(5)- ينظر: حربي، محمد. الثورة الجزائرية، سنوات المخاض. تر: نجيب عياد، صالح المثلوثي.ص:179.

(6)- يستعمل مفدي زكريا الخطاب الشعري للتعبير عن انتمائه للأرض والوطن بصورة قوية وصوت مُدوفي ديوانه (اللهب المقدس) كما يعبر عن الأصول التاريخية والهوية الثقافية للمجتمع الجزائري في ديوانه (إلياذة الجزائر) ولكنه يعبر كذلك عن موقفه من تصورات جزائر ما بعد الاستقلال بصورة واضحة من خلال استعمال المرجعية الشعرية أساسا لرفض المشروع السبعيني في ديوانيه اللذين نشرهما في تونس والمغرب. ينظر: زكريا، مفدي. اللهب المقدس.ط:4. م.و.ف.م. الجزائر.2006. وينظر: زكريا، مفدي. ألياذة الجزائر.م.و.ك. الجزائر.1987.وينظر: زكريا، مفدي. تحت ظلال الزيتون. دار النشر. تونس. 1965. كما ينظر: زكريا، مفدي. من وحي الأطلس. المطبعة الحسنية. الرباط. 1976.

(7)- إذا كانت الأسماء الشعرية التي كانت تكتب باللغة العربية معروفة بالنسبة للدارس نظرا لاهتمام النقاد بها ونظرا لأنها كانت أقرب من حيث عامل اللغة لشعراء ما بعد السبعينيات، فإن الأسماء التي كانت تكتب باللغة الفرنسية ولعبت دورا مرجعيا في تشكيل الرؤية الإيديولوجية للمتن الشعري الجزائري المفرنس في السبعينيات كثيرة ومتعددة. وهنا يجب الاعتراف أن ما كان يوحّد الشعراء الجزائريين من رؤية إيديولوجية في فترة السبعينيات لم يكن لينعكس على مستويات التجريب الشعري التي كانت أكثر اتصالا بالثقافة الغربية بالنسبة للشعراء المفرنسين. وقد خصصت الشاعرة والباحثة زينب الأعوج جزءا هاما من بحثها المذكور سابقا لتلقف السمات الواقعية في أشعارهم، والتأكيد على الرؤية الإيديولوجية لدى هؤلاء الشعراء من أمثال: عبد الرحمن لغواطي، وجمال عمراني، ومالك

حداد، وبشير حاج علي، وعبد الرحمن لوناس وغيرهم. ينظر: الأعوج، زينب. السمات الواقعية للتجربة الشعرية في الجزائر. دار الطليعة. بيروت. 1985. ص:67 وما بعدها.

(8)- الأعوج، زينب. المرجع نفسه. ص:77.

(9)- ملاحي، علي. صفاء الأزمنة الخانقة. المؤسسة الوطنية للكتاب. الجزائر.1989. ص:97.

(10)- يحياوي، عياش. تأمل في وجه الثورة. الشركة الوطنية للنشر والتوزيع. الجزائر.1983.

(11)- فلوس، الأخضر. حقول البنفسج. المؤسسة الوطنية للكتاب. الجزائر.1990. ص:34.

(12)- فلوس، الأخضر. المصدر نفسه.ص:34.

(13)- لوصيف، عثمان. الكتابة بالنار. دار البعث. قسنطينة.1982. ص:15.

(14)- يحياوي، عياش. تأمل في وجه الثورة. الشركة الوطنية للنشر ة التوزيع. الجزائر.1983. ص:28/27.

(15)- يجمع الدارسون على أن النص الشعري العربي الحديث قد شهد تغيرا جذريا من حيث المضامين والأشكال من خلال الخروج من النظرة التقليدية المسيطرة على الشعر العربي والدخول في مرحلة التجريب الشعري التي نقلت النص إلى فضاءات جديدة أدت بشعرائه إلى توظيف الرموز والأساطير والاعتناء بالوحدة العضوية والانسجام الموسيقي والإيقاعي داخل البنيات العروضية المحدثة. وعادة ما يحددون فترة انتقال النص الشعري بين المعلمين التاريخيين المذكورين: 1948 باعتبارها محيلة إلى هزيمة ضياع فلسطين المتلازمة تاريخيا من ظهور حركة التجديد الشعري مع ما كتبته نازك الملائكة والسياب من أشكال جديدة في شعر التفعيلة، وبين سنة 1967 باعتبارها محيلة إلى الهزيمة التاريخية التي أثرت على وعي الشعراء والأدباء بضرورة تجاوز الأنماط السائدة والدخول في مساءلات المرحلة التاريخية الجديدة بإفضاءاتها الفكرية والاجتماعية والأدبية. ينظر: بلبل، فرحان. أحزان الشعر العربي الحديث بين 1967 و1973. دار حوران للطباعة والنشر والتوزيع. دمشق.2009.

(16)- الوهايبي، منصف. في كونية الشعر. أفق وجود أم استيطان مقنع. جر: القدس العربي. لندن.ت:2009/06/10.

(17)- بغورة، الزواوي. الهوية والعنف في الخطاب الثقافي الجزائري. مج: العربي. وزارة الإعلام. الكويت. ع:599. تا: أكتوبر 2008.ص:29.

(18)- راجو، باتريك. أدونيس والبحث عن الهوية. تر: وليد الخشاب. مج: فصول. الهيئة المصرية العامة للكتاب. القاهرة. ع:2. 1997. ص:79.

(19)- نرى ذلك جليا عند العديد من شعراء السبعينيات كما هو الحال بالنسبة للشاعر عبد العالي رزاقي في قصيدة (رسوم على معول) أو(أغنية) من ديوان (الحب في درجة الصفر) وكما هو الحال بالنسبة للشاعر حمري بحري في قصيدة (ضد الصمت) في ديوان (ما ذنب المسمار يا خشبة) وغيرها كثير. ينظر: رزاقي، عبد العالي. الحب في درجة الصفر.ص:42. كما ينظر: بحري. حمري. ما ذنب المسمار يا خشبة. منشورات آمال. 1981. الجزائر. ص:52.

(20)- نلاحظ ذلك في عناوين بعض الدواوين التي يمكن أن نستشف من خلالها رمزية التدليل على مسافة الفارق في طرح الموضوعات كما هو الحال في (صفاء الأزمنة الخانقة) لعلي ملاحي، أو(هموم بضمير الحاضر الغائب) للعربي عميش. ينظر: ملاحي، علي. صفاء الأزمنة الخانقة. المؤسسة الوطنية للكتاب. الجزائر.1989. وينظر: عميش، العربي. هموم بضمير الحاضر الغائب. المؤسسة الوطنية للكتاب. الجزائر.1986.

(21)- مرتاض، عبد الملك. موقع اللغة والثقافة العربية في مواجهة الفرونكوفونية. مج: العربي .وزارة الإعلام. الكويت. ع:515. أكتوبر.2001.ص:71.